فتاوى المنار

افتتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف إن شاء، وإننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لإغفاله

﴿صرف الزكاة للإعانة على تعليم القرآن والكتابة وغيرهما من العلم النافع﴾

(س ٥٤) من الشيخ عبدالله بن عمر مدحيج ناظر المدرسة الابتدائية الإسلامية ببلد الشيخ عثمان من ملحقات (عدن) نذكره بالمعنى مختصرا

سبب السؤال أن السائل أسس مدرسة في بلدة الشيخ عثمان لأجل تعليم أولاد الفقراء العاجزين عن أجرة التعليم، ولا بد لهذا من نفقة. وملخص السؤال: هل يجوز أن يدفع أغنياء البلد شيئا من زكاة أموالهم للإعانة على هذا التعليم ويدخل ذلك في بعض الأصناف الثمانية التي تصرف لها الزكاة أم لا؟

(ج) إذا كان المدير والمعلمون في هذه المدرسة من الفقراء والمساكين فلا خلاف في جواز دفع الزكاة لهم، ولا يكلفون أن يتركوا التعليم لأجل كسب آخر وإن قدروا عليه لأنهم قائمون بفرض من فرائض الدين وهو تعليم ما يجب علمه على المسلمين أو يسن لهم، فإن كانوا لا يحسنون كسبا آخر فالأمر أظهر. ويجوز أن يوكل مؤتي الزكاة ناظر المدرسة في صرف ما يعطيه إياه من زكاته على مستحقيه من المعلمين أو التلاميذ الفقراء أو المساكين. ولكن المعلمين ونظار المدارس لا يعدون من الأصناف التي تجب لها الزكاة لذاتهم وبوصف المعلمين إلا على التوسع في تفسير (وفي سبيل الله) والمشهور عند جمهور الفقهاء أن المراد بهذا الصنف الغزاة في سبيل الله. وزاد بعض الأئمة فيه الحج، واختار الأستاذ الإمام أن المراد بسبيل الله كل عمل صالح من المصالح العامة يتقرب به إلى الله تعالى. وبهذا التوسع تدخل النفقة على تعليم العلوم المطلوبة شرعا.

وجملة القول إن القائمين بأمر التعليم يعطون من مال الزكاة إذا كانوا فقراء أو مساكين أو غارمين بغير خلاف. ومثل ذلك إعطاؤها لأولياء التلاميذ الفقراء لينفقوا منها على تعليم أولادهم، ويجوز التوكيل في الدفع للمستحق أيضا، وأظن أن هذا كاف في المقصود والله أعلم

نظرة

﴿ في كتب العهد الجديد وعقائد النصرانية ﴾

﴿ تابع لما قبله ﴾

﴿ فصل في رد مايستدلون به من القرآن على عدم تحريف كتبهم ﴾

قد يقول بعض القارئين : إذا صح قولك فيما سبق بضياع جزء عظيم من الانجيل واختلاط الحق بالباطل فيما بقي منه حتى فقد تقريبا فما معنى قوله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) وقوله (ولكن تصديق الذي بين يديه) وكيف مدح الله التوراة والانجيل وحث أهل الكتاب على إقامتهما في مثل قوله في سورة المائدة (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) وغير ذلك ؟ قلت : —

أما قوله تعالى (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) فمعناه أنه عليه السلام جاء طبق ما عندهم عنه في التوراة والانجيل يعني أن أحواله جميعا توافق البشائر المخبرة بمجيئه تمام الموافقة ولا تختلف عنها في شيء كما بيناه في كتاب دين الله . وهناك فرق بين قولك (جئت مصدقا لقول فلان) وقولك (أنا مصدق بقوله) فمعنى الاول أن فلانا أخبر بمجيئك فجئت مصدقا لاخباره عنك ومعنى الثاني أنك تؤمن بقوله وتصدقه ، ولم يرد في القرآن مطلقا أنه قال إنه هو أو محمد (ص) جاء مصدقا بما معهم . (راجع أيضا صفحة ١٧٦ من هذه الرسالة)

واذا سلمنا أنه لافرق بين قول القرآن (مصدقا لما معهم) وبين أن يقول (مصدقا بما معهم) فليست العبارة نصا على أنه مصدق بكتبهم هذه التي معهم إذ لم يذكر فيها لفظ « الكتب » ولا يجوز أن يكون القرآن مصدقا بجميع ما معهم من دينهم لأنه رد عليهم في كثير منه. فتعين إذًا أن يكون المراد أنه مصدق ببعض ما معهم، وهذا حق فان القرآن يوافق دينهم في كثير من عقائده وآدابه وتعاليمه فدين

الاسلام أقرب الاديان اليهم ومع ذلك هم نفروا منه ورفضوه بأشد مما يرفضون الوثنية كما هو مشاهد حتى هذا اليوم. ويجوز أن يكون المراد مصدق بأن أصل ما معهم من الله وأن فيه أشياء كثيرة صالحة للناس ونافعة لهم وموروثة بينهم عن أنبيائهم

وأما قوله تعالى (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه) فالمراد به أن قصص القرآن ليست مخترعة ولا مفتراة بدليل وجود أمثالها بين الناس قبل نزوله ، فهي وان اختلفت قليلا في بعض التفاصيل أو الجزئيات عما يرويه الناس الا أنها توافقها في الجملة وتصدقها في الجوهر ، فلا تقولوا أيها المشركون أن النبي اخترعها بعقله بل اسألوا عنها أهل الكتاب تجدوا أنها معروفة بينهم ومروية في كتبهم. فوجود قصص القرآن عند الناس من قبل لا يضعف حجته كما يتوهم المبشرون بل هو من أعظم ما يصدقه ويؤيده ولذلك ترى القرآن نفسه يستدل بها على كونه من عند الله لان النبي لم يطلع على كتب أهل الكتاب

ولا يستنتجن القارئ من هذه الآية أن قصص القرآن يجب أن لا تختلف عن قصص التوراة والانجيل في شيء مما . كلا ! اذ لو كان هذا الاستنتاج صحيحا لما قال تعالى (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) فقصصه قد تختلف عما عندهم وتبين لهم حقه من باطله . فلا منافاة بين تصديق القرآن لقصصهم في الجملة ومخالفته لها في بعض الجزئيات كما قلنا

ويجوز أن يكون المراد بقوله (تصديق الذي بين يديه) تصديق الحق الذي عندهم لا كل الذي عندهم والا ادخل في ذلك عقائدهم الفاسدة وأوهامهم وخرافاتهم وغيرها مما جاء القرآن لازالته ومحقه ، ويستحيل أن يكون مصدقا لما جاء لابطاله ، فتنبه لذلك ولا تكن من الغافلين

أما استدلالهم على عدم تحريف كتبهم بما في سورة المائدة ونحوها من مدح التوراة والانجيل وأمر أهلها بالحكم بهما . فهاك بيان ما اشتبه عليهم من آيات هذه السورة : قال تعالى (إنا أنزلنا التوراة) وهي شريعة موسى (فيها هدى ونور) وهو أمر لا ننكره ونؤمن به ، ولكنه لا يفيد المبشرين شيئا في اثبات دعواهم (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) وهم معلو شريعة

اليهود وعلماؤها ، يحكمون ويفتون ويقضون (بما استحفظوا من كتاب الله) بما طلب منهم المحافظة عليه من التوراة ، وفيه دليل على أن بعض أحكام التوراة كانت مؤقتة ولم يطلب منهم المحافظة عليها فهم انما يحكمون بما لم ينسخ منها (وكانوا عليه شهداء) أي رقباء يعلمون انه لم يحرف لشهرته بينهم وتواتره ، فعلماء اليهود وعلماؤهم الصالحون لا يفتون ولا يقضون الا بما لم ينسخ من شريعتهم وما لم يحرف منها لشيوعه وتداوله وتواتره بين الناس بالعمل به . ولما كانت شريعتهم صالحة لزمنهم ونافعة لهم قال الله تعالى لهم (فلا تخشوا الناس واخشون) الخ وذلك لأن كثيرا منهم كانوا لا يبالون بالتوراة ويحرفونها ، ويقاومون المصلحين ، ويقتلون النبيين (عب ١١ : ٣٧) ويشركون ويرتدون ، ولولا علم موسى ذلك عن طباعهم ما قال لهم ما قال (راجع مثلا سفر التثنية أصحاح ٢٨ - ٣١) ثم قال الله تعالى (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم ... وآتيناه الانجيل .....) وكما قال تعالى لأتباع موسى « لا تخشوا الناس واخشون » الآية قال أيضا لاتباع عيسى (وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) وانما خص « أهل الانجيل » بالذكر لبيان أن الانجيل لم ينزله الله للأمم كافة كما يزعمون وليست شريعته باقية لكل زمان . وقد بينا أن بعثة عيسى كانت خاصة بالأمة اليهودية (في صفحة ١٩٣ و ١٩٤) وحذف لفظ « القول » في القرآن كثير كما في قوله تعالى « لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار » وقوله (فأرسلون ، يوسف أيها الصديق) وغير ذلك مما يعرفه المطلعون على أساليبه وتراكيبه ، فكذلك هنا حذف لفظ « قلنا » قبل لفظ « ليحكم » . وفي قراءة حمزة - وهي من القراآت السبعة المتواترة بين المسلمين - (وليحكمَ) بكسر اللام وفتح الميم ، والمعنى آتينا عيسى الانجيل ليحكم به أهله وهم الذين بعث اليهم من بني اسرائيل (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) أي شاهدا على ما فيه من الحق والباطل ، ولا يدل ذلك على أنه يمنع تحريفه كما زعم بعضهم فان الشاهد على أي شيء كالجرائم ونحوها ليس من شأنه أن يمنع ارتكابها منها وانما هو يقرر أمام القضاء ما علمه عنها . وقد توسعنا في بيان ذلك في كتاب دين الله (في حاشية صفحة ٨٤ و ٨٥) فراجعه ان شئت (فاحكم بينهم « يا محمد » بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) بأن تعمل بما في كتبهم فانهم كتبوها كما شاءوا وشاءت

أهواؤهم وابقوا فيها من شرائع الله ما وافق أميالهم وأغراضهم حتى اختلط فيها الحق بالباطل. زد على ذلك أننا (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فاننا وضعنا لكل أمة سابقة ولاحقة طريقة وشريعة توافق مصلحتها وقد تخالف مصلحة غيرها فلا تعمل الا بما أنزلناه اليك فان شريعتهم - حتى السالمة من التحريف والتبديل - فيها مالا يوافق امتك ولا يناسب حالها (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات) أي لتسارع كل امة من السابقين واللاحقين في طريق الطاعات وعمل الخيرات ، وهذا الكلام كما قيل لنا قيل أيضا لكل الامم الغابرة فان الجميع طولبوا بعمل الطيبات الصالحات والمبادرة الى طاعة الله تعالى والتسابق فيها مع الأمم الأخرى المعاصرة لهم أو بعضهم مع بعض (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) بعضكم مع بعض أو بعض الامم السابقة بمن أدركوه من الامم اللاحقة . ثم قال تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون) فأي شيء في هذه الآيات يدل على عدم تحريف التوراة والانجيل مع أنها صريحة في عكس ذلك وفي نسخها والامر بعدم الالتفات اليها بعد القرآن ؟ ألا ان الغرض يعمي ويصم !!

وأما قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم) الآية فمعناها هكذا (لستم على شيء) يصح أن يقال له دين أو يعتد به (حتى تقيموا) أي تعملوا طبق الواجب بأحكام (التوراة والانجيل) وتحيوا شرائعها وتطيعوا أوامرها وتنتهوا بنواهيها فان الاقامة هي الاتيان بالعمل على أحسن أوجهه كاقامة الصلاة مثلا أي فعلها على الوجه اللائق بها ولا يدخل في ذلك القصص التي في التوراة والانجيل ولا العقائد ونحوها فانها ليست عملية . والمراد ان يعملوا بما بقي عندهم من أحكام التوراة والانجيل على علاته وعلى ما به من نقص وتحريف وزيادة فان شرائع هذه الكتب وأوامرها ونواهيها هي أقل أقسامها تحريفا . وأكثر التحريف في القصص والاخبار والعقائد وما ماثلها وهي لا تدخل في الامر بالاقامة ، ولا شك ان أحكام التوراة والانجيل

وما فيهما من شرائع ومواعظ ونصائح ونحوها لانزال فيها أشياء كثيرة لاعيب فيها ونافعة للبشر وفيها هداية عظمى للناس فهي مما يدخل تحت قوله تعالى (وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) فاذا أقام أهل الكتاب أحكامها على علاتها كانوا لاشك على شيء يعتد به ويصح أن يسمى دينا واذا لم يقيموها وجروا على خلافها كانوا مجردين من كل شيء يستحق أن يسمى دينا وكانوا مشاغبين ماندين وبدينهم غير مؤمنين ايمانا كاملا. وهذه قضية صحيحة لايشك فيها عاقل وهي المعنى المتبادر من الآية، فأي شيء في هذا المعنى يدل على عدم تحريف التوراة والانجيل وعلى وجودهما عند أهلهما كاملين وخصوصا بعد قوله تعالى كما سبق في اليهود والنصارى (ونسوا حظا مما ذكروا به) . فالآية تشبه قوله تعالى (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين) أي (وكيف يحكمونك) وهم لايعتقدون صدقك وصحة نبوتك (وعندهم التوراة فيها حكم الله) في المسألة التي تحاكموا فيها الى النبي وهو حكم الله بحسب اعتقادهم أو بحسب الحقيقة ووجود هذا الحكم الخاص فيها لاينافي القول بوجود أشياء أخرى كثيرة فيها محرفة، وسماها (التوراة) اما باعتبار عرفهم - كما نسميها نحن الآن وكما نسمي معبودات الوثنيين « بآلهتهم » ودعاة النصرانية « بالمبشرين » - أو باعتبار أصلها أو لاشتمالها على أشياء كثيرة من التوراة الحقيقية، ولولا ذلك ما صح أن نسمي هذه الكتب بالتوراة والانجيل مع اعتقادنا بتحريفها وتبديلها وعدم صحة كثير من أجزائها وكتبها (ثم يتولون من بعد ذلك) بعد أن حكمت لهم بعين الحكم الذي عندهم في تورانهم التي يدعون الايمان بها ويعتقدون صحتها (وما اولئك بمؤمنين) بك ولا بكتابهم وانما هم قوم مشاغبون ماندون متلاعبون مستهزئون لايخافون الله ولا يخشون عقابه في الدنيا والآخرة لقساوة قلوبهم وخلوها من الايمان الصحيح، ولذلك لايبالون بما خالف أهواءهم ولو كان في كتبهم المقدسة عندهم

ولنا أن نقول أيضا: ان معنى تلك الآية (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل) الحقيقيين، وذلك يستلزم البحث والتنقيب والجد والاجتهاد في نقد ما عندهم منهما نقدا علميا عقليا تاريخيا صحيحا حتى يستخلصوا حقهما من باطلهما بقدر الامكان

كما يفعل علماء الافرنج الآن ، ونتيجة ذلك العناء كله أن يكونوا على شيء من الدين الحق وهذا أمر لاشبهة فيه . ولو اتبعوا القرآن لأراحوا واستراحوا، ولكنهم كما قال تعالى لايزيدهم القرآن إلا طغيانا وكفرا ، وحسدا وعنادا ، فلا يؤمنون به ولا يهتم جمهورهم باصلاح دينهم من المفاسد وتنقيته من الشوائب، فلم يدركوا خير هذا ولا ذاك . فكأن الآية تريهم أنهم اذا لم يتبعوا القرآن يجب عليهم القيام بعبء ثقيل جدا من البحث والتمحيص و بعد ذلك يكونون على شيء من الحق لا على الحق كله ولو أقاموا التوراة والانجيل الحقيقيين غاية الاقامة ، فما بالك اذا كان ذلك مستحيلا لعدم وجودهما على حقيقتهما؟ فهم ليسوا على شيء مطلقا ولا يمكن أن يكونوا عليه ، فان كتبهم قد صارت خلقة بالية ، ولذلك قال رسول الله لعمر حينما رأى ورقة من التوراة بيده - «ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟ والله لو كان موسى حيا ماوسعه الا اتباعي » (أنظر كتاب « انتقاد كتاب تاريخ التمدن الاسلامي » صفحة ٥٦ و٥٧)

فان قيل وكيف يحثهم الله على العمل بأي شيء من دينهم ومنه ما جاء القرآن ناسخا له ؟ قلت لاشك أن كل عاقل مهما كان دينه يقول كما قال القرآن، فانه خير لأهل الكتاب ولنا وللعالم أجمع أن يعملوا بشرائع دينهم فانهم حينئذ يتجنبون الكذب والتحريف والعناد والاذى والافساد في الارض واهلاك الحرث والنسل والزنا وغير ذلك مما يعمله الناس لولا اتباع الدين ولذلك يقول العقلاء جميعا « ثق بالمتدين ولو كان على غير دينك » فمراد القرآن - على التفسير الاول للآية - حثهم إن أصروا على عدم الايمان به (١) على العمل بدينهم على الأقل ليستريح النبي وأتباعه من أكثر شرورهم ورذائلهم . ولكن هل بعد العمل بدينهم يكونون على الدين الحق الكامل أم لا ؟ فالذي يفهم من الآية أنهم يكونون على شيء من الدين وهو - لا شك - خير من لا شيء ، ولا يفهم انهم يكونون على الحق كله وعلى الدين الكامل الذي لاغاية أعظم منه فان ذلك لا يكون الا بالاسلام (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون)

---

(١) كما يفهم منه قوله في آخر هذه الآية (وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) الدكتور محمد توفيق صدقي